الفصـل الثانى

مناهج وطرق البحث فى علم النفس

Methodology in Psychology

الفصل الثاني

مناهج وطرق البحث فى علم النفس

Methodology in Psychology

أن علم النفس كغيره من العلوم الأخرى له مناهجه وطرقه الخاصة والتى حددها لنفسه وتطورت هذه المناهج والطرق تبعاً لتطور العصور والحياة ومن هذه المناهج :

أولا: منهج الاستبطان الذاتي .

يعتبر هذا المنهج من أوائل مناهج علم النفس وهو يفترض أن الحالات النفسية المختلفة تتعاقب داخل نفسية الفرد الواحد ولا يمكن لأحد أخر أن يدركها إلا إذا أخبرته بها، فهو الشخص الوحيد الذي يشعر بالفرح والألم والتعب والنشاط، ولدراسة هذه الحالات النفسية يجب أن يتأمل ذاته ويشاهد ما يدور فى باطنه ثم يسجل نتيجة تأمله ويعرضها على الآخرين، وهذا هو معنى الاستبطان.

ومن خصائص هذا المنهج أن الفاحص هو الفرد نفسه والمفحوص هو أيضاً نفسه وكلاهما عبارة عن شخص واحد، لأن الإنسان فى هذا المنهج يدرس نفسه بنفسه ثم يحكم عليها بنفسه. وقد استمر هذا المنهج وأصبح هو السائد فى الدراسات النفسية حتى منتصف القرن التاسع حيث بدأ يتلاشى تدريجياً.

ومن الدراسات الاستباطنية تلك الدراسة التى قام بها أحد علماء النفس الإنجليز فى القرن السابق عندما قطع أحد أعصابه مصابة الجلدية فى يده اليسرى ثم بدأ يسجل بيده اليمنى ما يشعر به فى منطقة العصب المقطوع من ناحية الإحساس والألم والبرودة والخوف وكل الحالات النفسية التى مر بها غير أن هذا المنهج لم يسلم من العيوب وقد وجهت إليه الكثير من الانتقادات والتى تمثلت فى الآتي:

1- أن هذا المنهج يصعب التحقق فيه مع احتياجه وقتاً وجهداً كبيرين للتدريب عليه.

2- أنه من الصعب جداً أن يدرس الفرد نفسه بنفسه بكل سهولة ويسر خاصة فى بعض الحالات التى يسودها الانفعال والخوف والغضب، ذلك أن التفكير أثناء هذه الحالات لا يكون سهلاً .

3- لا يمكن تعميم نتائج الحالات الفردية الناتجة عن دراسة الاستبطان على حالات أخرى ، لأنها دراسة ذاتية ولا ترقى إلى مستوى الدراسة العلمية حتى يمكن تعميمها والتأكد من صحتها .

ثانياً : المنهج التجريبي .

أن المنهج التجريبي يرفض كل تأمل وبحث فى الغيبات، وقد تأكد لديه أن البحث فى هذه الأمور لا يعود عليه بالفائدة، لأن هدفه الأساسي هو دراسة السلوك الخارجي للإنسان وظواهره المحسوسة التى يمكن أن تقام عليها التجارب.

لذا بدأ علماء النفس المحدثين فى إتباع خطوات المنهج العلمي التجريبي الذي يهتم بدراسة الظاهرة الجزئية بالتعليل والتحليل من أجل الوصول إلى قانون كلي أو نظرية عامة، وبهذا أتجه علم النفس فى دراسة السلوك على المنهج التجريبي الذي يعتمد على التجربة والملاحظة والمشاهدة والاستنتاج من أجل الوصول إلى نتائج علمية يقينية يمكن تطبيقها على نطاق واسع وبالتالي التأكد من صحتها، ويعتمد هذا المنهج على خطوات الطريقة العلمية، هذه الخطوات لو اتبعها أي باحث فى دراسته لموضوع بحثه لتوصل **إلى نتائج قيمة وبقينية وهذه الخطوات هي :**

1- الإحساس بالمشكلة والشعور بها.

2- تحديد المشكلة تحديداً موضوعياً أي وضعها فى الميدان أو الحقل المخصص لها حتى تسهل دراستها باختيار الأدوات والأساليب والطرق والمناهج الخاصة.

3- فرض الفروض العلمية لحل المشكلة.

4- اختبار صحة الفروض.

5- التوصل إلى الاستنتاجات العلمية .

أن المنهج التجريبي قد بدأ فى علم النفس منذ منتصف القرن التاسع عشر خاصة فى ألمانيا حيث نشر علماء النفس فخز وفيبر ولوتزة مؤلفاتهم حول علم النفس التجريبي ثم جاء بعدهم العالم (فونت) وأنشأ أول معمل تجريبي ، فأصبح هذا المنهج السائد لدى جميع الباحثين فى هذا العالم ، حيث ذهبت المناهج التأهيلية والفلسفية إلى غير رجعة أمام هذا المنهج لجديد .

ثالثاً : الملاحظة .

وتعتبر الملاحظة أحدى الطرق والأدوات التى يستخدمها علم النفس فى جمع معلوماته عن الظاهرة أو المعلومة المراد دراستها .

- **كما تتميز الملاحظة بالعديد من المزايا وهي :**

أ. تمكن الباحث من تسجيل السلوك الملاحظ وقت حدوثه مباشرة وبذلك يقل فيها الاعتماد على الذاكرة.

ب. أن كثيراً من الموضوعات مثل العادات الاجتماعية وطرق التعامل بين الناس وطرق تربية الأطفال يكون من الأفضل والأجدر ملاحظتها عندما يراد الكشف عن حقيقتها وخصائصها.

ج. أن الملاحظة تعكس مختلف التأثيرات التى تصاحب وقوع السلوك بصورة حية .

د. تجعل الأفراد يسلكون سلوكاً طبيعياً تلقائياً عندما يشعر الأفراد أن سلوكهم غير ملاحظ.

ه. تمكن الباحثين فى علم النفس من ملاحظة سلوك وعلاقات الأفراد المبحوثين والإطلاع على أنماط وأساليب معيشتهم والمشكلات الحياتية التى يتعرضون لها .

و. تمكن الملاحظة علماء النفس من الحصول على معلومات والتعرف على أنواع متعددة من السلوك وخاصة عن الأفراد الذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم قولاً أو كتابة كالأطفال الصغار والصم والبكم.

غير أن مع كل هذه المزايا فلا تخلو الملاحظة من بعض العيوب والتى منها صعوبة التنبؤ مقدماً فى حالات كثيرة بوقوع حادث معين فى حالة وقوعه قد يتطلب ملاحظته عناءً وجهداً ، كما توجد بعض أنواع من السلوك يتعذر ملاحظته كما هو الحال مثلاً فى السلوك الجنسي أو الخلافات العائلية والتى لا يحق التصريح أو البوح بها لأي فرد خارجي.

كذلك يغلب على الملاحظة ونتائجها الطابع الشخصي ، كما تعتمد الملاحظة على سلامة الحواس الخمس والتى قد تكون غير سليمة عند بعض الملاحظين .

كما أن الملاحظة تتطلب أسلوباً علمياً وهو أتباع الأسلوب والتكنيك العلمي والنفسي الذي يستخدمه الباحث أو الملاحظ فى رؤيته وحصره للأشياء والظواهر والعوامل والملابسات التى تقع أمام أنظاره. وذلك أن الملاحظ الماهر والمدرب على أسلوب الملاحظة العلمية والأساليب الإحصائية هو الذي يعرف تمام المعرفة التمييز بين الأشياء والظواهر التى لا تستحق الملاحظة والتمييز.

• أنواع الملاحظة :

تنقسم الملاحظة إلى :

1-الملاحظة البسيطة:

وهي نوع من الملاحظة غير المضبوطة ولا تتمتع بدرجات عالية من الضبط والتنظيم كما لا تستخدم فيها أدوات للتأكد من دقتها، وهى تتضمن صورة مبسطة عن المشاهدة وتعتمد غالباً على الظواهر الطبيعية الحية. أن هذا النوع من الملاحظة مفيد فى الدراسات الاستطلاعية **وتنقسم الملاحظة البسيطة إلى قسمين هما:**

أ-**الملاحظة بغير المشاركة** : وهذا النوع يقوم فيه الباحث أو الملاحظ دون أن يشارك فى أي نشاط تقوم به الجماعة أو الأفراد موضوع الملاحظة ، وتمتاز هذه الملاحظة بأنها تهئ للباحث فرصة ملاحظة السلوك الفعلي للأفراد أو عينة الدراسة فى صورته الحقيقية والطبيعية ، كما هو فعلاً فى مواقف الحياة الطبيعية .

ب- **الملاحظة بالمشاركة** : وهى التى تتضمن اشتراك الباحث أو الملاحظ فى حياة الأفراد موضوع الدراسة أي المراد ملاحظهم مع مساهمته فى أوجه النشاط الذي يقومون به ، ويتطلب هذا النوع أن يكون الباحث عضواً فى الجماعة التى يريد ملاحظتها ويتجاوب ويتفاعل معها كما يجب أن يمر بنفس الظروف والمواقف والأجواء التى تمر بها المجموعة مع خضوعه لنفس المؤثرات التى تمر بها المجموعة أيضاً ولكن لا يكشف الملاحظ عن هويته أو يفصح عن شخصيته من أجل أن يكون السلوك تلقائياً بعيداً عن التصنع والرياء ، وفى هذه الحالة يسجل الملاحظ المعلومات وقتياً أثناء حدوث السلوك .

2- **الملاحظة العلمية**:

أن هذا النوع من الملاحظة يصمم طبقاً لأهداف محددة وخطة مرسومة وتستخدم فيها الكثير من أدوات الضبط العلمي والأجهزة العلمية ولها العديد من الشروط .

- **شروط الملاحظة العلمية** :

أ- يجب أن تكون الملاحظة شاملة كاملة أي مشاهدة جميع العوامل التى قد يكون لها افتراض حدوث الظاهرة .

ب- تتطلب الملاحظة العلمية الانتباه الدقيق أثناء القيام بالملاحظة لأهم العوامل والجوانب التى توضح الظاهرة .

ج- يجب تهيئة كل الظروف الممكنة لتحقيق الإدراك الحسي الدقيق .

د- يشترط فى الملاحظة العلمية امتلاك الملاحظة لحواس سليمة وقوية ولقدرات عقلية عالية .

هـ- تتطلب الملاحظة العلمية الاستعانة بالأجهزة والأدوات والمعدات العلمية الدقيقة التى تساعد فى جمع أكبر كمية من المعلومات حول الظاهرة .

رابعاً : المقابلة الشخصية .

تعتبر المقابلة من أهم الوسائل البحثية فى جمع المعلومات والبيانات من الميدان الاجتماعي ، وكثيراً ما تستعمل المقابلة فى البحوث الميدانية التى ترمى إلى جمع البيانات الأصلية عن وحدات مجتمع البحث وأن هذه المعلومات لا يمكن الحصول عليها من خلال الدراسة النظرية أو المكتبية . كما تعتبر المقابلة حجر الزاوية فى الوصول إلى الحقائق التى لا يمكن للباحث معرفتها بدون النزول إلى واقع المبحوث والإطلاع على ظروفه المختلفة والعوامل والقوى المؤثرة فيه إضافة إلى التعرف على طبيعة حياته النفسية وفضلاً عن ذلك تتطلب المقابلة درجة كبيرة من التعاون والتفاعل بين الباحث والمبحوث، كما أن احترام الباحث للمبحوث شرط أساسي لإنجاح المقابلة، ويفضل أخباره أن المعلومات التى يتحصل عليها الباحث فى غاية السرية ولا يتعرف عليها الآخرون، وهنا يشترط أن يتجاوب المبحوث بصدق ونزاهة ودقة ولا يتهرب من الإجابة عن بعض الأسئلة.

• شروط المقابلة :

هناك الكثير من الواجبات التى يجب على المقابل القيام بها قبل بدء **أو أجراء المقابلة وهى :**

1- تحديد مجتمع الدراسة أي تحديد الأفراد الذين ستجرى معهم المقابلة .

2- تحديد الأسئلة الاستبيانية التى سيقوم المقابل بتوجيهها للمبحوثين .

3- تحديد موعد للقاءات أو المقابلات وهذا يتطلب اختيار الوقت والمكان المناسبين لأجراء المقابلة .

4- تسجيل الإجابات فى الاستمارات الاستبيانية فى الأماكن المخصصة لها .

كما يشترط فى المقابل أن يكون صادقاً فى طرح الأسئلة وتسجيل المعلومات والحقائق، وينبغي عليه أن يكون دقيقاً فى طرح الأسئلة وتسجيل المعلومات وأن تكون شخصيته مرنة تحسن التكيف والتفاعل مع الأمزجة المختلفة ومع كل المواقف والظروف، وأن يكون لبقاً وسريع البديهة ولديه ثقة كاملة بالنفس.

• أنـــواع المقـــابلة :

تنقسم المقابلة إلى نوعين هما :

أولاً: المقابلة الرسمية .

وهي المقابلة التى يتم فيها الاتصال والتفاعل بين الباحث والمبحوث حول موضوع معين وفيها يكون الباحث مزوداً بالأوراق الاستبيانية التى تعتبر الدليل أو المرشد أو الموجه لعملية المقابلة من بدايتها وحتى نهايتها. كما يقوم الباحث بتوضيح دقيق لكل أنواع الأسئلة للمبحوث من أجل الحصول على معلومات دقيقة، وتجرى بسرعة إذا كانت مبرمجة ومنظمة، كما لا تأخذ وقتاً طويلاً.

ثانياً : المقابلة غير الرسمية .

وهي نوع من المقابلة العميقة التى تقع بين الباحث والمبحوث وتدور حول القضايا والمواضيع المعقدة والشائكة التى لا يستطيع المقابل فهمها واستيعابها وإدراك دلالاتها الموضوعية عن طريق المقابلة الرسمية، وهي ترتبط عادة بدراسة الحياة الذاتية عن المبحوث كدراسة مواقفه ومعتقداته وأفكاره وميوله واتجاهاته ومصالحه، كما أن فى المقابلة غير الرسمية لا تستعمل الاستمارات الاستبيانية ، وبالتالي فهي تستغرق وقتاً

طويلاً من الزمن فقد تستمر ساعات أو أياماً أو عدة أسابيع لأجراء مقابلة واحدة والانتهاء منها لأن أسئلتها غير محددة وغير ثابتة بل ينتقل فيها الباحث من سؤال الى آخر ومن حالة إلى أخرى.

وللمقابلة الرسمية وغير الرسمية الكثير من المزايا والعيوب .

- **مزايا المقابلة الرسمية** :

1- أن المعلومات التى يتم الحصول عليها تتميز بدرجة عالية من الثبات.

2- لا تستغرق المقابلات الرسمية وقتاً طويلاً، خاصة عندما تكون الاستمارات الاستبيانية تتضمن أسئلة قليلة ومحددة وقصيرة.

3- لا تحتاج عملية أجرائها إلى خبراء متمرسين فى المقابلات الشخصية لأن المقابل فيها يعتمد الأسئلة الاستبيانية المحددة سلفاً وتسجيل المعلومات حولها.

4- من مزايا المقابلة الرسمية أن لا يحصل المقابل على معلومات فقط بل أكثر من ذلك يشاهد ويلاحظ أحوال المبحوثين وظروفهم المعيشية والاجتماعية ومعرفة العوامل والقوى المؤثرة فيهم .

- **عيوب المقابلة الرسمية**:

1- لا تتميز المعلومات التى تم الحصول عليها بدرجة عالية من الصدق والثبات .

2- تحتاج المقابلة الرسمية إلى استمارات استبيانية ليس من السهل عملها وتصحيحها بسهولة.

3- صعوبة الاتصال بالمبحوثين خاصة عندما يكون الزمان والمكان غير مناسبين .

4- تفرض على المبحوثين الإجابة بسرعة كبيرة .

5- تفرض على المقابل التقيد بأسئلة استمارة الاستبيان فقط دون السماح له بالخروج عنها .

- **مزايـــا المقابلة غير الرسمية** :

1- تمتاز المعلومات التى يتم الحصول عليها من المقابلات غير الرسمية بدرجة عاليـــة من الثبات والصدق.

2- تمكن الباحث من الحصول على معلومات مفصلة ودقيقة حول مجموعة من العوامل والأسباب لأن أسئلتها غير مقيدة.

3- لا تحتاج إلى استمارات استبيانية .

4- تعطى الفرصة للمقابل بطرح أسئلة متعددة .

- **عيوب المقابلة غير الرسمية** :

1- تستغرق المقابلة غير الرسمية وقتاً طويلاً .

2- تكلف موارد مالية كبيرة .

3- من الصعب التعمق فى أفكار ومشاعر ورغبات المبحوث .

4- ليس من السهل تدوين الباحث جميع المعلومات التى سيتم الحصول عليها وليس من السهل كذلك تحويل هذه الآراء إلى أرقام ونتائج إحصائية .